نهر النيل ودوره فى الحياة الاقتصادية

فى مصر البيزنطية (٢٨٤ – ٦٤١ م)

د. هويدا سيد على
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة حلون

ملخص البحث:

لقد كان نهر النيل عاملاً رئيسياً من عوامل قيام الحضارة المصرية على مر عصورها ، حيث ساهم فى إشباع حاجات المصريين سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة . ومن ذلك فقد ساعد على تقدم الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية فبدون النيل لا يوجد زراعة فى معظم أراضى مصر . ولا يوجد نقل نهرى والذى كان يمثل العمود الفقرى للنقل وحركة البضائع والمسافرين فى مصر فى ذلك الوقت لذلك فقد لعب النيل دوراً لا يمكن إنكاره.

وإن كان دور نهر النيل واضحاً فى الزراعة والتجارة الداخلية وربط المدن والقرى المصرية بعضها ببعض فقد لعب دوراً واضحاً فى بعض الصناعات من توفير المادة الخام لصناعة الفخار والطوب وكان سبباً رئيسياً فى قيام صناعة السفن النيلية ، ولا نستطيع إغفال دور نهر النيل كوسيلة للترفيه لكل المقيمين فى مصر .

Nile River and its role in the economic life in Byzantine Egypt

(284 - 641 AD)

The Nile River has been a major factor in the Egyptian civilization throughout its ages, contributing to satisfying the needs of the Egyptians whether in agriculture, industry and commerce. This has helped to advance economic life in Byzantine Egypt. Without Nile, there is no agriculture in most of Egypt's land. There is no river transport, which was the backbone of transport and the movement of goods and passengers in Egypt at that time, so the Nile played an undeniable role.

Although the role of the Nile River is evident in agriculture and internal trade and linking Egyptian cities and villages to each other, it has played a clear role in some industries in providing raw material for the pottery and bricks industry. It is a major reason for the Nile

مقدمة :

لقد ذكر هيردوت فى تعريفه لمصر والمصريين "إن مصر هى البلاد التى يجرى فيها النيل ويرويها وإن المصريين هم الذين يقطنون البلاد مما يلى مدينة إليفانتين ويشربون من ماء هذا النهر"[١] وهكذا فقد اعتبر هيردوت نهر النيل هو أساس حياة المصريين والمورد الأول لحياتهم وأرزاقهم فيحتفلون بالفيضان ومستوى الزيادة احتفالاً سنوياً. فإذا تأخر فيضانه امتلأت المعابد بمن يؤدون الصلوات والتضرع ويقدمون القرابين ابتهالاً للآلهة في أن يجود النيل عليهم بفيضه المعتاد.[٢]

ورغم أن مصر صحاريها تبلغ ٩٦% من مساحتها إلاَ أن مقولة (مصر هبة النيل) التي ذكرها هيردوت كانت ومازالت حقيقة حيث إن النيل كان عاملاً أساسياً في كل نواحي الحياة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو حتى سياسية. لذلك فمنذ عهد مصر القديمة وهم يقدسونه باسم حابي ويقيمون له الاحتفالات ويقدمون له القرابين.

وقد استمر دور نهر النيل في إشباع حاجات المصريين سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فقد كان عاملاً رئيسياً في تقدم أو ضعف النواحي الاقتصادية في مصر البيزنطية. فبدون النيل لا يوجد زراعة في معظم أراضى مصر ولا يوجد نقل نهرى والذي كان يمثل العمود الفقري للنقل وحركة البضائع والمسافرين في مصر في ذلك الوقت. لذلك فقد لعب نهر النيل دوراً لا يمكن إنكاره وسنحاول إظهار هذا الدور الاقتصادي لنهر النيل في فترة مصر البيزنطية ٢٨٤- ٦٤١ م .

نهر النيل والزراعة:

كانت الزراعة هي أهم الحرف التي امتهنها المصريون طوال تاريخهم فذلك النيل الذي يشق أرضهم وينبت كل طيب من الزرع أدي إلي الاهتمام بالأرض وزراعتها في مصر منذ فجر تاريخها ، وبذل حكام مصر جهدًا عظيمًا في استصلاح الأراضي وزراعتها وتحديد الدورات الزراعية. كما أبدوا عناية فائقة بالنيل وتحديد منسوبة وتنظيف قنواته وإقامة الجسور وتوزيع المياه وفقًا لاحتياجات الأرض.[٣]

ومن المعروف أن الزراعة قامت في مصر أساساً علي نظام الري حيث لعب النيل دورًا هامًا في زراعة مختلف أراضي مصر ولذلك كان من الضروري توجيه الاهتمام نحو مشروعات الري؛ ولذلك اهتمت الإدارة البيزنطية في مصر وركزت جهودها في تطهير الترع والقنوات وذلك لضمان وصول المياه إلي كافة الأراضي.[٤]

لذلك نجد كثيرًا من الوثائق التي تبين أهمية هذا العمل حيث كانت الإدارة البيزنطية في مصر تعمل طوال العام استعدادًا للفيضان وذلك بتنظيف القنوات وتوسيع وتعميق الأحواض أو تنقية الحشائش بها، ومن تلك الوثائق وثيقة من استراتيجوس[٥] ممفيس Strategos of Memphite إلي مرؤوسيه في العمل لتنقية القنوات من الحشائش وتوسيع الأحواض.[٦] كما نجد وثيقة ثانية بها خطة للعمل في تنقية القنوات وحفر الأحواض حيث إن هناك مسئولين عن تنقية ٢٥٠ Schonia (حوالي ٧ أميال) وتم تقسيمها بين ١٤ قرية في طوبارخيتين[٧] ووثيقة ثالثة بها استجابة من مجلس مدينة اكسرنخوس لالتماس مقدم من السيدة أورليا أبولونيا Aurelia Apollonia حيث كان من المقرر أن تأتي بثورين للمساعدة في حفر إحدى القنوات لكنها قد كسرت ساقها فلم تستطيع

إحضارها وهي تلتمس العذر وقبل المجلس عذرها.[٨] وربما لأهمية هذا العمل كان يتم إشراك القوات العسكرية مع العمال المحليين أو العاملين بالسخرة حيث اشتركت القوات العسكرية في تطهير القنوات وتصليح الجسور. [٩]

ومن شكوى سكان أفروديتو إلي سكان طيبة أشاروا للإجراءات الجائرة التي تعرضوا لها علي يد الباجرك [١٠] ميناس Menas الذي قدم إليهم وقام بأعمال عنيفة حتى يجبرهم لدفع الضرائب فقد قام بسد القناة التي تجلب المياه من النيل مما جعل الأرض لا تنتج[١١] مما يجعلنا نفهم مقدار أهمية تنقية القنوات وتصليح الجسور في توصيل مياه نهر النيل للأراضي الزراعية حتى تستطيع الإدارة المطالبة بضرائبها بعد ذلك.

وقد اهتمت الإدارة وملاك الأراضي أيضاً بكيفية توصيل المياه للأراضي البعيدة أو المرتفعة فنجد كثيراً من الوثائق تذكر لنا آلات للري أو قنوات لتوصيل المياه لمسافات بعيدة ومثال علي ذلك ذكر الشادوف.[١٢] كما نجد ذكراً للساقية التي كانت تذكر في الوثائق باسم Mechane والتي كانت تعد أكثر استخدامًا حيث تم ذكرها في وثائق القرن الرابع الميلادي وما بعدها.[١٣]

كما نجد وثائق تدل علي اهتمام الإدارة البيزنطية بعمل صيانة دورية للسواقي (ماكينات رفع المياه) حيث نجد وثيقة تعود للقرنين الرابع أو الخامس الميلاديين بخصوص إرسال شخص يدعي أثناسيوس Athanasius لعمل جولة لإصلاح ماكينات الري في أكسرنخوس[١٤]

وقد تطلبت هذه الأعمال تضافُر جهود الدولة مع موظفيها ومواطنيها حتى يعم الرخاء علي الجميع ولذلك تطلب الأمر وجود جماعة من العمال الفنيين المهرة

للإشراف علي الأحواض والقنوات خلال موسم الفيضان مع المحافظة علي القنوات نظيفة من الطمي الذي يحمله جريان الماء سواء كان بطيئاً أو سريعاً.

كما كان هناك موظفون لمراقبة بوابات الفيضان وآخرون لمراقبة الجسور أو حراسة المياه لعدم كسر القنوات قبل الفيضان [١٥] إلاً أن ذلك لم يستمر طوال الفترة البيزنطية حيث نجد كثيرًا من سكان القرى الواقعة علي حافة الصحراء قد تعرضوا في أحوال كثيرة للإهمال والخراب والهجرة من قراهم بسبب انخفاض النيل – وهذا سبب طبيعي – أو إهمال تطهير الترع وعدم وصول المياه إليهم مما يؤدي لرداءة المحصول أو عدم وجوده من الأساس.[١٦]

ولذلك فقد فرضت الدولة عدة ضرائب علي ملاك الأراضي أو الدواب وذلك لضمان إتمام أعمال الري مثل ضريبة الجسور [١٧] أو لحفر وتنقية وتوسعة القنوات [١٨] بينما قام كبار الملاك مثل أبيون بإنشاء الجسور في إقطاعه ثم جمع الضرائب الخاصة بذلك من مزارِعيه.[١٩]

وفي النهاية كانت الدولة تفرض ضرائبها علي الأراضي الزراعية سواء نقدية أو عينية وقد قُيِّمَتْ وفقاً لنوعية الأرض أو سهولة وصعوبة وصول المياه إليها حيث كانت الضرائب تحدد بعد مراجعة منسوب النيل ومقياسه Nilometer [٢٠] لذلك فارتفاع النيل كان يهتم به كل الناس حيث إنه إذا ارتفع النيل إلي ١٦ ذراعاً يكون ذلك الوضع والارتفاع الأمثل للفيضان وكلما قل عن ذلك لم تصل مياه الفيضان إلي القرى علي أطراف الصحراء .[٢١]

ولذلك كانت مشروعات الري هي أهم ما كان يقوم به المصريون وإدارتهم في العصر البيزنطي حتى يعم الخير الوفير عليهم وعلي الإدارة البيزنطية وإن كان الخير

الوفير قد تركز في يد الإدارة وموظفيها الذين تعسفوا في جمع الضرائب أو حتى في يد كبار الملاك ، وأصبح الفلاح المصري يكدح ويكدح لصالح الإدارة ويحصل هو علي الفتات فإن ذلك لم يغير من الأمر شيئا حيث ظلت الإدارة تستولي علي خيرات مصر لصالحها ؛ لأنها سلطة احتلال .

نهر النيل وحركة التجارة والنقل:

أن الموقع الجغرافي لمصر بين المحيط الهندي والبحر المتوسط وخصوبة تربتها وصناعاتها المتعددة قد جعل من الإسكندرية الميناء التجاري الأهم علي طوال ساحل البحر المتوسط الذي يجمع كل بضائع وادي النيل من مواد غذائية ومواد خام ومواد مصنعة كالزجاج والأواني والعطور....إلخ ومواد خام من أثيوبيا وشرق أفريقيا وبلاد العرب والهند وتوزع منها لأنحاء البحر المتوسط.(٢٢)

وكان الميناء النهري للإسكندرية علي بحيرة مريوط اتصل بالعديد من القنوات بالدلتا وجاءت للإسكندرية عن طريق تلك القنوات النيلية بضائع مصر وغيرها من بضائع البحر الأحمر.

ويذكر أسترابون أن واردات الميناء النهري للإسكندرية قد تجاوز تلك التي علي موانيها البحرية (٢٣) وهو ما يدل علي الحركة التجارية الداخلية خاصة عن طريق النيل كانت مزدهرة حيث كانت مصر مركزاً تجارياً عظيماً سواء كانت التجارة الداخلية أو الخارجية.

وقد اتخذت التجارة الداخلية مسارها عبر طرق برية مستخدمة الدواب (الجمل والحمار وعربات النقل) وذلك لنقل البضائع في الصحراء أو إلي أقرب ميناء نهري، وذلك لأن نهر النيل كان الطريق الرئيسي لحركة النقل والتجارة في مصر القديمة وحتى العصر البيزنطي[٢٤]

فيظهر من خلال أوراق البردي ورود المراكب النهرية علي أنها الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع من مناطق مصر المختلفة. [٢٥] حيث كانت المراكب النيلية هي الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع الأساسية خاصة الأنونا أو شحن القمح التي كانت تجمع من مصر وترسل لروما ثم أصبحت ترسل للقسطنطنية بعد ذلك . فقد كانت تمر بثلاث مراحل: الأولي تبدأ بنقلة من الأهراء إلي سفن الشحن علي النيل باستخدام الدواب، ثم نقله إلي الأهراء العامة الخاصة بعاصمة الإقليم. والثانية يتم فيها نقله بالسفن النهرية من الأهراء العامة الخاصة بالإقليم إلي الأهراء العامة الخاصة بالإسكندرية في نيوبوليس Neopolis تمهيداً للشحن للقسطنطنية .[٢٦]

وكانت السفن النهرية تجمع القمح من كل إقليم في موعد محدد ثم يتم إرساله للإسكندرية في موعد محددٍ أيضاً، وذلك حتى لا يحدث تكدس وازدحام للسفن أو تأخير.[٢٧] ونجد وثيقة تعود لعام ٣٦١م فيها مصرفي يدعي أوريليوس بوزيس Aurelus Posis يتسلم غرامة تأخير عن شحن أحد المراكب.[٢٨] كما نجد وثيقة ثانية تعود لعام ٣٧٦م بها استلام لشحنة قمح . بالإضافة لغرامات التأخير. [٢٩] بينما نجد وثيقة ثالثة تعود لعام ٣٧١م فيها يؤكد ربان المركب أنه استلم شحنة القمح بالإضافة لأجرة الشحن والنقل بالكامل. [٣٠]

وإن كانت شحنة القمح هي أهم ما ينقل في نهر النيل فقد كانت جميع السلع الأخرى تنقل أيضا في النهر حيث نجد مسئول مراكب النقل النهري يسجل في أوراق البردي ما تحمله من بضائع ، فلا عجب إن قلنا إن نقل الأحجار كبيرة الحجم كان يتم عن طريق نهر النيل. فعمود الإمبراطور البيزنطي دقلديانوس (٢٨٤– ٣٠٥م) والمشهور باسم عمود السواري فهو من الجرانيت الأحمر الوردي وقد تم قطعه من أحجار أسوان ثم تم نقله كخمس قطع عبر النهر للإسكندرية وإقامته تكريماً لدقلديانوس[٣١] كما كان يتم نقل الأحجار الثمينة أيضًا مثل حجر السماق الأحمر والأخضر والمرمر والذي استخدم في تزيين الكنائس حيث كان ينقل بالدواب من مناجمه ومحاجره ، ثم عبر النيل للإسكندرية .[٣٢]

كما نجد نقل النبيذ عن طريق المراكب النيلية حيث نجد ربان مركب يتعهد بتوصيل شحنة نبيذ آمنة وكاملة في مقابل أجره، إلاً أن العقد مشروط بعدم الإبحار أثناء العواصف أو الإبحار ليلاً [٣٣] وهو ما يدعو للإعجاب من دقة العقود فإنه عندما يذكر هذين الشرطين فإنه يستطيع ببساطة أن ينقل ويوصل الشحنة في موعدها سليمة. كما نجد وثيقة أخري لنقل النبيذ عبر النهر حيث يذكر هاتريس Hatres إلي أثاريون Atharion أنه يجب علي البحارة المجئ لحفظ النبيذ ونقله وحمايته من السرقة و أنهما يتعاونان في تجارة النبيذ.[٣٤]

ونجد نقل سلع القرى من جرار وقدور ودوارق إلي المدن عبر النهر بالمراكب حيث نجد شخص يدعي أيوماثيوس Eumatius يستلم خطاب من ديوجنيس Diogenos ويقول له أنه أرسل له (الجرار والقدور والدوارق ومعها التجهيزات

الشهرية من زيتون و....) [٣٥] بالإضافة لبيع الخضروات والفواكه وهي منتجات ريفية بالمدن وبالتالي يجب نقلها إلي المدن ومثال علي ذلك محاولة أحد الأشخاص نقل كرنب لبيعه ويحتاج لمركب لنقل بضاعته .[٣٦]

وإن كانت معظم السلع تتجه شمالاً نحو الإسكندرية فقد كانت البضائع الواردة من الخارج تدخل للأسواق الداخلية ثم يحدث لها تجارة داخلية ونقل عن طريق النيل فمن بضائع إيطالية ويونانية وآسيوية وغيرها تأتي للإسكندرية فتتجه جنوبًا . لذلك نجد كثيراً من المراكب تسجل بضائع مثل اليانسون ، الملابس ، المنتجات الجلدية ، منتجات الأخشاب ، السبائك الفضية ، الزيت ، الزهور ، وطبقاً لرستوفتزف فإن تلك السلع بعضها كان للحاجات الشخصية للمقيمين في المراكب .[٣٧]

وإن كنا نجد نقل البضائع والسلع عن طريق النهر فإن نقل الأفراد أيضًا كان يتم غالباً عن طريق النهر حيث نجد سيدة تدعي ثيرموثايوس Thermouthous ترسل إلي أخيها أبولوناريوسApolonarous لتُعلمه بأنها ستبحر عبر النهر مع امرأتين أخرتين من أقربائهن لتحضرن عيد الميلاد .[٣٨] وكان انتقال الأفراد عبر النهر من عاصمة إقليم لأخر يستغرق يوماً بالنهر وبعضها كان يستغرق نصف اليوم . كما كانت تستغرق الرحلة من أسوان إلي ممفيس حوالي أسبوعين أو أكثر قليلًا ، بينما كانت الرحلة صعوداً أو بالعكس من ممفيس لأسوان تستغرق أسبوعاً إضافياً بينما كان الانتقال في الدلتا أسهل وأسرع وذلك لاستواء سطحها وكثرة الفروع النيلية التي تقسمها القنوات الثانوية الكثيرة .[٣٩]

وقد كان النقل النهري يحتاج إلي بحارة مدربين علي مهارات عالية، كما كان يتم تعيين مراقبين أو مشرفين لمراقبة السفن وهي تجري في النيل ومراقبة سلامة البضائع [٤٠] ولقد كان هناك نقابتان وثيقتا الصلة بشحن الأنونا ونقلها هما نقابة الملاحين النهرين Naute ونقابة البحارة Navicullarii والأخيرة كانت أرفع قدراً من الأولي وتولاها أفراد الأسر الثرية وعمل كلتا النقابتين بالوراثة والإجبار ولقد نظمت قوانين الإمبراطور البيزنطي ثيودسيوس الثاني (٤٠٨ – ٤٥٠ م) وضعهم وكان لتلك النقابات أفرع في كل مكان [٤١] وكان لا يسمح لشخص لممارسة تجارة النقل النهري إلاً بعد الحصول علي ترخيص من الإقليم التابع له فعليه أن يقدم طلباً رسميًا إلي كاتب المدينة ثم يجري التصديق عليه وبعد ذلك يسمح له بممارسة العمل.[٤٢]

وكما كانت هناك مراكب حكومية فقد امتلك الأفراد مراكب حيث كان العمل في النقل النهري مربحاً ، فمنذ العصر البطلمى والروماني نجد كبار رجال الدولة يمتلكون المراكب النيلية حيث نجد أحد قادة المائة Centurion وقد امتلك مركباً نهرياً صغيراً وقد استأجر له أحد البحارة ليقوم بتشغيله[٤٣] واستمر الوضع نفسه في العصر البيزنطي حيث نجد كبار الملاك مثل أبيون والذي كان له أسطول من المراكب التي تجري بالبضائع الخاصة بضياعه في النهر.[٤٤] ومثل السيدة أوريليا أميس Aurelia Ameis والتي تسجل بعض الوثائق أنها تدفع ضرائب كثيرة للنقل النهري.[٤٥]

كذلك امتلكت الكنائس والأديرة كثيراً من القوارب النهرية حيث نجد كنيسة الإسكندرية تمتلك قوارب نهرية لنقل بضائعها عبر النهر .[٤٦] كما نجد دير ميتانويا Metanoia (بوادى النطرون) يمتلك مراكب نهرية وقد أرسلهم في النيل صاعداً

ليستلم شحنات قمح . كما نجد قرية أفروديتو Aphrodito وقد أرسلت ٥٧٥٩ أردباً كشحنتين علي سفن للدير نفسه.(٤٧)

وربما أن نهر النيل قد استأثر بمعظم التجارة الداخلية والنقل الداخلي فإن الإدارة البيزنطية ومن قبلها الرومانية قد قامت بتنمية نظام المكوس والرسوم الجمركية والتي كان يدفعها التجار عند نقاط الانتقال من إقليم لأخر . كما كانت تحصل الكثير من الضرائب علي التجارة الداخلية النهرية سواء للحراسة أو للشرطة النهرية.(٤٨)

وتدل كثير من الوثائق علي تلك الضرائب أو الأموال التي كانت الدولة تجمعها لصالح النقل النهري ومنها وثيقة تعود لعام ٣٠٨م وفيها تدفع السيدة أوريليا أميس ضرائب لصالح النقل النهري.(٤٩) كما نجد وثيقة ثانية توضح استلام المراكبي أسكلاس Asklas شحنة قمح بالإضافة لضريبة النقل للإسكندرية(٥٠) ووثيقة ثالثة فيها استلام ضرائب لنقل شحنة قمح ومذكور فيها أجرة طاقم السفينة.(٥١)

كما نجد كثيراً من الوثائق التي توضح دفع أموال لصالح حراس النهر – (River guards) (٥٢) أو من أجل الإنفاق علي بناء أو صيانة محطات الحراسة النهرية وقد أطلق عليها ضريبة محطات الحراسة النهرية Uper Stations (٥٣) ولحماية التجارة الداخلية عبر الأنهار وإقرار الأمن بها فقد أصدر الإمبراطور ثيوسيوس الثاني (٤٠٨ –٤٥٠ م) أمراً عام ٤٤٣ م بعمل تقرير سنوي عن مراكب الحراسة التي تجوب الأنهار في دوريات علي الحدود النهرية.(٥٤)

كما كانت الدولة تهتم بمحطات المكوس لتحصيل جمارك عن البضائع المنقولة بالنيل من إقليم لآخر، وقد ورد ذكر العديد من الأماكن التي أقيمت بها جمارك مثل سيخيديا Schedia والتي تحكمت في الطريق النهري بين الإسكندرية والنيل.[٥٥] كما كان في أسوان Syene محطة للمكوس للتجارة عبر النيل مع الجنوب وكان في قفط Koptos محطة أخري للتجارة الصحراوية القادمة من البحر الأحمر والمتجهة عبر النيل للشمال والجنوب ومحطة ثالثة في الفيوم للتجارة الواردة من الواحات ومتجهة عبر النيل .[٥٦]

نهر النيل والصناعة:

لقد لعب نهر النيل دوراً هاماً في الصناعة المصرية في العصر البيزنطي حيث وفر بعض المواد الخام مثل الطمي والذي تم استخدامه في صناعة الطوب اللبن أو المحروق وصناعة الفخار، أو توفير فرص عمل ترتبط بمياه النهر مثل صناعة السفن والقوارب النيلية سواء التصنيع أو التصليح .

- **صناعة السفن:**

لقد خلت مصر منذ الأزمنة القديمة من مواد الخشب الذي تصنع منه السفن ، ومع ذلك قد كانت الأخشاب تشتري من فينقيا وغيرها لبناء السفن في الإسكندرية وكانت مصر فوق ذلك تنتج نوعًا من التيل يليق كل اللياقة لعمل الحبال وأدوات السفن [٥٧] وقد تم تحديد أجور نجاري السفن في مرسوم الإمبراطور دقلديانوس حيث يتقاضى نجار السفن البحرية ٦٠ ديناراً بينما يتقاضى نجار السفن النهرية ٥٠ ديناراً .[٥٨]

وإن لم تكن الأخشاب الجيدة تتوفر لدي مصر فقد توافرت لديها عدة أشجار مثل النخيل والسنط والجميز والأثل والنبق والدوم وهو ما كان ملائمًا لصناعة قوارب صغيرة تجوب النهر [٥٩] وليس أدل علي ذلك من وجود القوارب المصنعة من أخشاب محلية . فقد تم جمع ضرائب لصالح القوارب العسكرية ومنها ٥٤ تالنت لبناء مركب نيلي في أكسرنخوس.[٦٠] ومن وثيقة ثانية نجد استخدام بعض أعمدة خشب النخيل المحلي لصنع أجزاء في المراكب [٦١] بينما نجد وثيقة ثالثة بها عقد لصنع مركب (قارب) مع أحد نجاري المراكب النيلية في أكسرنخوس ويكون الأجر هو مشاركة النجار أصحاب المركب بعد ذلك . وهو ما يدل علي انتشار صناعة المراكب والقوارب النيلية علي طول نهر النيل .[٦٢]

كما نجد في بعض الوثائق ذكراً لإصلاح بعض المراكب النيلية : فمن خطاب من القرن الرابع الميلادي نجد حورس بن بوسيريس Horus Son of Poseurous يقدم ٣٠ تالنت إلي أبيون مساعد استراتيجوس أكسرنخوس لتصليح مركب.[٦٣] ووثيقة ثانية من القرنين السابع والثامن الميلاديين فيها رسالة من فيكتورVictor إلي جورج George يطلب فيها فيكتور من جورج أن يرسل مندوبًا ليأخذ مركب الصيد من أكسرنخوس ويذهب بها لإصلاحها بالإسكندرية .[٦٤]

- **صناعة الفخار والطوب:**

لقد اشتهرت مصر من قديم الزمان بصناعة الأواني الفخارية، وذلك لاستخداماتها المتعددة ورخص ثمنها وذلك لتوافر مادتها الخام من طمي النيل

والطفل، ويرجع إلي القرن الرابع الميلادي وما بعده مجموعة من القوارير تحمل نقوشاً دينية بارزة وهي المعروفة بقوارير مينا التي حرص زائرو دير القديس مينا غرب الإسكندرية علي اقتنائها، وانتشرت نماذج من هذه القوارير في بلاد البحر المتوسط.[٦٥] ونجد أن معظم القدور الخاصة بالتخزين كانت غالبًا مصنوعة من الفخار؛ وذلك لقدرته علي الحفظ والتخزين الجاف دون التأثر بالرطوبة والحرارة، وكانت أيضًا مزخرفة وكانت تغطي فوهتها بسدادات من الطمي الممزوج بقليل من التبن وتختم حافتها بعلامة علي شكل صليب في الغالب.[٦٦] ووجد في إدفو وكوم أوشيم وسقارة عدد كبير من الأواني وكان باطن الأواني مدهونًا بالقار وذلك لتخفيف الترشيح وتخزين السوائل مثل الزيوت والنبيذ ....إلخ.[٦٧]

ومن وثيقة تعود للقرن السادس الميلادي نجد عقدًا بين أحد الأشخاص وصانع جرار ليعمل لديه ويعلمه صناعة الجرار لمدة عام علي أن يعطيه أجراً يوميًا وهناك شرط جزائي لمن يخل بالعقد .[٦٨]

وقد نافست الأواني الفخارية مثيلتها الزجاجية في تعبئة العطور والأدوية بل والمصابيح أيضاً، كما صنع منه تماثيل أو لعب الأطفال لاسيما من الصلصال.[٦٩] ونظراً لما كان للفخار من أهمية كبيرة في الصناعة والتجارة فقد فرض الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م) ضريبة علي تصديره لصالح بلدية الإسكندرية. وإن لم تستمر بشكل دائم.[٧٠]

أما عن صناعة الطوب اللبن (والطوب المجفف بالشمس Sun–dried brick) أو الطوب المحروق (Fired brick) فقد كانت الطفلة أو الطمي النيلي هي المادة الأساسية لصنعه وإن كان طمي النيل بإضافة بعض القش ووضعه في مكعبات تجف بالشمس هي الأشهر والمعروفة باسم الطوب اللبن إلاَ أننا نجد ذكرًا للطوب المحروق لاسيما في موقع القديس مينا بغرب الإسكندرية وفي إحدى كنائس الفيوم كما عثر عليه في بعض الأماكن التي تحتاج للحرارة مثل الحمامات.(٧١)

نهر النيل كوسيلة للترفيه:

لقد كان النيل ومازال عاملاً رئيسيًا في الناحية الترفيهية فقد كان القادمون إلي مصر بغرض التنزه لا يدخرون وسعاً في ذكر النيل ومدنه، وقد سجل بعضهم علي البنايات والصخور ما يسجل زيارتهم لمصر، وقد ظل الراغبون فى الترفيه والتنزه يأتون إلي مصر حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، إلاَ أن السجلات أصبحت نادرًا ما تذكرهم بعد ذلك ربما لاعتبارات أمنية لم ترغب الحكومة في ذهاب الزوار جنوبًا بسبب خطر البلميين (٧٢)، وعلي الرغم من ذلك فقد سجلت بعض الزيارات في عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين (٣٢٣ – ٣٣٧م)، أما عن خط الزيارات الطبيعي فقد كان يبدأ من الإسكندرية لرؤية البنايات الجميلة وقبر الإسكندر وغيرها من الأماكن ثم تبدأ الرحلة من الإسكندرية إلي مصر عن طريق الفرع الكانوبى.(٧٣)

أما عن النزهات الداخلية النيلية فقد وجدت قوارب تسمي قوارب النزهة Lusariae ، وقد استخدمت في التنزه في النيل لمن أراد وكانت تلك المراكب تستخدم في شحن الأثونا في بعض الأحيان أو في النقل الداخلي كوسيلة نقل مخصوصة لمن يستأجرها . (٧٤)

الخاتمـــــة

لم يكن نهر النيل مجرد مياه تجري في أرض مصر بل كان ومازال منبع حياة المصريين، فقد كان عامل وصل بين الريف بزراعته ومحاصيله وفلاحيه وبين المدن والتقدم والرقي. كما كان عامل لنقل الثقافة والصناعة والتقدم حيث كان النيل ينقل كل ما هو جديد من أنواع الصناعة والفن لطائفة بعد أخري ولمنطقة بعد أخري.

كما أن النيل قد أعطي للمصريين المساعدة في نواحي الاقتصاد المختلفة، فقد كان العامل الرئيسي للزراعة وبدونه لا تكون هناك زراعة بمصر حيث الجفاف وقلة المطر . ولعب دوراً آساسياً في عملية النقل والتجارة حيث كان الطريق الرئيسي الذي سارت عليه البضائع وانتقلت الأفراد عبره في السفر من إقليم لآخر . ولم يبخل النيل علي المصريين ببعض المواد الخام التي استخدموها في الصناعة. وأخيرًا سحره وجماله الذي جذب الزائرين من الخارج للترفية والنزهة .

الهـــوامـــش

١. **هيردوت:** هيردوت يتحدث عن مصر، ترجمة: محمد صقر خفاجة، المركز القومى للترجمة ،٢٠٠٧ ، ص٩٤.

٢. **انطون ذكرى:** النيل فى عهد الفراعنة والعرب، مكتبة مدبولى،١٩٩٥، ص ٦.

٣. **زبيدة محمد عطا:** الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، دار الأمين، ط١، 1994، ص١٩.

٤. **عاطف مرقص بطرس:** دراسات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي الحقبة القبطية، جامعة الفيوم، ٢٠٠٩ ، ص١٥٢، ليلي عبد الجواد إسماعيل: تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٧، ص١٩٥.

٥. **الإستراتيجوس** Strategos: هو حاكم الاقليم وكان له منذ العصر البطلمى اختصاصات إدارية وعسكرية وقد سلبهم أغسطس الاختصاصات العسكرية، واستمر وضعهم كحكام اقاليم فى العصر البيزنطى. انظر نافتالى لويس: الحياة فى مصر فى العصر الرومانى، ت: أمال الروبى، عين للدراسات والبحوث،١٩٩٧، ص١٩.

6. P.oxy : 1409 (278 A .D) .
7. SB : 12108 (3 ^{or} 4 C) .
8. P.oxy : 2849 (296 A . D) .
9. Bell (H.I) : Egypt under the Early Principate (in the Cambridge Ancient History), London, 1934 , p. 286.

صبري أبو الخير سليم: تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، ط٢، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧، ص١٠٢.

١٠. **الباجرك**(الباجارك Pagarch): ظهرت وظيفة الباجرك فى عهد الإمبراطور ليو (٤٥٧ – ٤٧٤) وذلك بعد ظهور الباجركيات التى تطابق الإقليم القديم وتشمل كل ما يحيط بالمدينة من قرى وما يتبعها في أرض المدينة وما يحيط بها يعد وحدة إدارية تخضع للباجرك ويخضع هو للدوق حاكم الإقليم وكان اختياره في البداية للإمبراطور ثم أصبح يختارهم الوالى من كبار الملاك المحليين وفى القرن السادس أصبحت سلطة الباجركات محددة بالأرض المحيطة بالمدينة، انظر:

Johnson(A.Ch) Egypt and the Roman Empire, U.S.A,1951,p148

11. Roullard (G.) : Administration Civile De L' Egypt, Byzantine , paris, 1928 , p,p . 200–201 .
12. Bagnall (R.S): Egypt in Late Antiquity , Princeton University press , 4 ed , 1996 , p . 17 .
13. P.oxy : 3771 (336 A . D) .

i. P.oxy : 4390 (469 A . D) .

ii. P.Mich : 611 (412 A . D) .

14. P.oxy : 4003 (4 th or 5 th C) .
15. Milne (J.C) : History of Egypt under Roman Rule , London , 1898 , p . 139 . &

ليلي عبد الجواد إسماعيل: المرجع السابق، ص، ص ١٩٦،١٩٧.

١٦. **السيد الباز العريني :** مصر البيزنطية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦١ ، ص ١٠٩.

17. P.oxy : 1053 (4 th C) .
18. P.oxy : 2849 (296 A . D) .
19. **زبيدة محمد عطا:** الحياة الاقتصادية، ص ٨٢ .

20. Wallace (S.L) : Taxation in Egypt from August to Diocletian , Princeton , 1938 , p,p 33 , 34.

21. **ليلي عبد الجواد إسماعيل** : المرجع السابق ، ص ١٩٥.

22. Toutain (J.) : The Economic Life of the Ancient World , London , 1930 , p:p 155:157 .

23. Fraser (P.M) : Ptolemaic Alexandria , oxford , 1972 , p.143 .

24. **رأفت عبد الحميد**، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤ – ٦٤١ م ، دار مصر العربية ، ط ٣ ، ٢٠٠٣ ، ص ٣١٥ ، صبري أبو الخير سليم: المرجع السابق، ص ١١٧

25. Toutain : op .cit , p.146 .

٢٦. **زبيدة محمد عطا**: الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٢ .

27. Roullard (G .) : op . cit , 135

28. P.oxy : 4605 (361 A . D) .

29. P.oxy : 3415 (376 A . D) .

30. P.oxy : 3395 (371 A . D) .

٣١. **فورستر** (ا . م): الإسكندرية تاريخ ودليل، ت : حسن بيومي، المجلس الأعلي للثقافة ، ٢٠٠٠ ، ص : ص ١٩٨ : ٢٠٠ .

٣٢. **بتلر** : فتح العرب لمصر ، ت : محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٤٠ .

33. P.oxy : 3111 (257 A . D) .

34. P.oxy : 2274 (3 rd C) .

35. P.oxy : 4002 (4 th or 5 th C) .

36. CPR , V , 23 (5 th C) .

37. Alexander Fuks : Notes on the archive of Nicanor , in the Journal of Juristic Papyrology , Warsaw , 1951 , p,p 212 , 213 .

38. BGU : 261 (2 nd or 3 rd C) .

39. Bagnall (R.S) : Egypt in Late Antiquity , p.18 .

٤٠. **رستوفتزف** (م) : تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإجتماعى و الاقتصادي، ج ١ ، ت : زكي علي ، محمد سليم سالم ، دار النهضة المصرية ، ١٩٥٧ ، ص ٥٧٩.

٤١. **زبيدة محمد عطا:** الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٤ .

٤٢. **رأفت عبد الحميد** ، طارق منصور : المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

٤٣. **نافتالي لويس :** المرجع السابق، ص‌ص ٢٤ ،٢٥ .

44. Bell (H.I) : Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest , Oxford , 1948 , p . 123 .

45. P.col : 140 (308 A . D) .

46. Johnson (A.CH) & West (L.C) : Byzantine Egypt , Economic Studies , Princeton , 1949 , p.137 . & Roullard (G.) : op.cit , p,p . 171, 172 .

47. Johnson (A.CH) & West (L.C) : Byzantine Egypt , p . 252 .

48. Bell (H.I) : Egypt under the Early principate , p.303 . & Milne (J.G) : History of Egypt under Roman Rule , London , 1898 , p,p 122,123 .

49. P.col : 140 (308 A . D) .

50. P.oxy : 227 (534 A . D) .

51. P.oxy : 1902 (early sixth C.) .

52. Wallace (S.L) : op.cit , p .151 .

53. Kunderewicz (C.) : AD papyrus Hib 198 , JJP, vol ,15 , Warszawa, 1965 , p. 143 .

54. Boak (E.R) & Dunlap (J.E) : Two Studies in Late Roman and Byzantine Administration , New York , 1924 , p:p 89 : 91.

55. Bell (H.I) : Egypt under the Early pricipate , p.303 .

56. Milne (J.G) : History of Egypt under Roman Rule , p . 123 .

٥٧. **بتلر** (أ) : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، محمد صبحي عبد الحكيم : مدينة الإسكندرية، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت ، ص‌ص ١١٤ ، ١١٥ .

٥٨. **زبيدة محمد عطا** : الحياة الاقتصادية ، ص ١١٧ .

٥٩. **زبيدة محمد عطا** : نفسه ، ص ١١٤ .

60. P.oxy : 4348 (4 th C) .

61. P.oxy : 1658 (4 th C) .

62. P.oxy : 1893 (535 A . D) .

63. P.oxy : 3427 (4 th C) .

64. P.oxy : 1846 (6 th or 7 th C).

65. Johnson (A.CH) & West (L.C) : op . cit , p . 113 .

٦٦. **رأفت عبد الحميد**، طارق منصور: المرجع السابق، ص٣٠٣.

٦٧. **زبيدة محمد عطا**: قبطي في عصر مسيحي، ط١، المجلس الأعلي للثقافة، ص٢٢٤.

68. P. Antino : 91 (6 th C) .

69. Lindsay (J.) : Daily Life in the Roman Egypt , London , 1963 , p . 52 .

70. Johnson (A.CH) & West (L.C) : Ibid , p . 115 .

71. Johnson (A.CH) & West (L.C) : Ibid, p,p 108 ,109 .

عن الطوب المحروق انظر أيضاً: . P.Cairo : 67021 – 67139

٧٢. **البلميين** Blemmyes :قبائل تعيش في النوبة العليا شمال السودان وكانت تعتبر معبد ايزيس بجزيرة فيله هو كعبتهم التي يحجون إليها سنوياً وقد هجمت تلك القبائل علي مصر من ناحية الجنوب أكثر من مرة وقد حاول الأباطرة البيزنطيين تباعاً تحصين الحدود الجنوبية لمصر والدفاع عنها ضد تلك القبائل حتى عصرالإمبراطور جستنيان(٥٢٧ – ٥٦٥م) الذي أقر فيها ثلاث حاميات واستمرت في فيله والفانتين وأسوان طوال القرنيين السادس والسابع الميلاديين. أنظر:

Maspero (J.) : Organisation Militare de L'Egypt , paris , 1912 , p 25.

& **يوحنا النقيوسى:** تاريخ مصر، ت: عمرو صابر عبد الجليل، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٥٨.

73. Milne (J.G) : Greek and Roman Tourists in Egypt , the Journal of Egyptian Archaeology , vol III, p,p **76 ,77** .

٧٤. **زبيدة محمد عطا:** الحياة الاقتصادية، ص ١٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق البردية والنقوش

1 – BGU :

Aegyptische Urkunden aus Konig Lichen , Musuem Zu Berlin , I – xviii, 1895, 2000 .

2 – CPR :

Corpus Papyrotum Rauneri , Vienna , 18 vols .

3 – P.Antino :

The Antinoopolis Papyri , ed J. W.B , Barns & C. H. Robert in 3 vols .

4 – P.Cairo :

Early Byzantine papyri from Cairo Museum , ed , Boak , 1940 .

5 – P.Col :

Columbia papyri , 4 th Century Document from Karanis , transcribed by Roger , S. Bagnall & Naphatali Lewis , Ed . with transtation and comment by Roger .S . Bagnall , scholors , press, 1979 .

6 – P . Mich :

Michigan papyri , 19 vols , 1931-1999 .

7 – P.oxy :

Oxyrhnchus papyri , ed B.P. Grenfell & A.S.Hunt and others , 67 vols , 1898–2001 .

8 – SB :

Sammelbuch griechischer Urkonden aus Agypten , 21 vols , Berlin , 1915–1998 .

ثانياً : مصادر اجنبية مترجمة :

١ – **هيردوت:** هيردوت يتحدث عن مصر، ترجمة: محمد صقر خفاجة ، المركز القومى للترجمة،٢٠٠٧ .

٢ – **يوحنا النقيوسي :** تاريخ مصر، ت: عمرو صابر عبد الجليل، ط ١ ، القاهرة، ٢٠٠٠.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1 – Alexander Fuks : Notes on the archive of Nicanor , in the Journal of Juristic papyrology , Warsaw , 1951 .

2 – Bagnall (R.S) : Egypt in Late Antiquity , Princeton Unive press, 4 th ed , 1996 .

3 – Bell (H. I) : Egypt Under the Early principate , in the Cambridge Ancient History , vol x , London , 1934 .

4 – Bell (H.I) : Egypt from Alexander the great to the Arab Conquest , oxford , 1948 .

5 – Boak (E.R) : & Dunlap (L.E) : Two Studies in Later Roman and Byzantine Administration , New York , 1924 .

6 – Fraser (P.M) : Ptolemaic Alexandria , Oxford , 1972 .

7 –Johnson (A.Ch) & West (L.c) : Byzantine Egypt , Economic Studies , princoton , 1949 .

8 –Johnson(A.Ch) Egypt and the Roman Empire, U.S.A,1951.

9 – Kunderewicz (C.): AD Papyrus Hib 198 , JJP, vol 15 , Warszawa , 1965 .

10 – Lindsay (J.) : Daily Life in the Roman Egypt , London , 1963 .

11 – Maspero (J .) : Organisation Militare de L' Egypt , paris , 1912.

12 – Milne (J.G) : Greek and Roman Tourists in Egypt , the Journal of Egyptian Archaeology , vol iii , London , 1916 .

13 – Milne (J.G) : History of Egypt Under Roman Rule , London , 1898

14 – Roullard (G.) : Administration Civile De L' Egypt, Byzantine , paris , 1928 .

15 – Toutain (J.) : The Economic of the Ancient World , London , 1930

16 – Wallace (S.L) : Taxation in Egypt from August to Diocletian , Princeton , 1938 .

رابعًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

١. **بتلر** (أ) : فتح العرب لمصر ، ت : محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

٢. **رستوفتزف** (م) : تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإجتماعي والاقتصادى ، ج ١ ، ت : زكي علي ، محمد سليم سالم ، دار النهضة المصرية ، ١٩٥٧ .

٣. **فورستر** (أ. م) : الإسكندرية تاريخ ودليل ، ت : حسن بيومي ، المجلس الاعلي للثقافة ، ٢٠٠٠ .

٤. **نافتالي لويس** : الحياة في مصر في العصر الروماني ، ت : آمال محمد الروبي ، ط ٢ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٧ .

خامساً : المراجع العربية :

١. **انطون ذكرى:** النيل فى عهد الفراعنة والعرب ، مكتبة مدبولى ،١٩٩٥.
٢. **السيد الباز العريني:** مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، ١٩٦١.
٣. **رأفت عبد الحميد** ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤ – ٦٤١ م ، دار مصر العربية ، ط ٣ ، ٢٠٠٣ .
٤. **زبيدة محمد عطا** : الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية ، دار الأمين ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
٥. ..... : قبطي في عصر مسيحي ، ط ١ ، المجلس الاعلي للثقافة ، ٢٠٠٣ .
٦. **صبري أبو الخير سليم:** تاريخ مصر في العصر البيزنطي ، ط ٢ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٧ .
٧. **عاطف مرقص بطرس:** دراسات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي ، الحقبة القبطية، جامعة الفيوم ، ٢٠٠٩ .
٨. **ليلي عبد الجواد إسماعيل** : تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٧ .
٩. **محمد صبحي عبد الحكيم:** مدينة الإسكندرية، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.